



أثر الروابط اللفظية في الجملة الاسمية ودلالاتها، في شعر الوصف عند البحتري

م.م. صلاح محسن حازم عبدالكريم

وزارة التربية - العراق - المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى

الملخص:

تعد اللغة نظاما يخضع لشبكة من العلاقات النحوية والدلالية والسياقية ، وهذا النظام يتمثل في عدة أبنية لغوية ؛ منها الجملة التي أشبعها الدرس النحوي دراسة وتفصيلا في قضاياها وإشكالاتها ، ولعل أهم ظاهرة تحكمت في بناء الجملة هي الربط إذ يتحقق بوسائل عديدة ، منها : الربط بالضمير والربط بالأدوات أو ما يجري مجراها ، وقد يحدث الربط تماسكا في النص من خلال شدة عناصره بعضها إلى بعض ، فلو قلنا: جاء محمد ثم أخرج كتابا من حقيبته، فإن حرف العطف (ثم) أحدث تسلسلا زمنيا وحدثيا، فيما فعله محمد، فالدور الذي قامت به هذه الأداة الخاصة بالربط التركيبي شكّل قوة في النص لم تكن فيه قبل هذه الأداة. ولأن النص عبارة عن توالي الجمل مستندة في ذلك إلى الترابط فيما بينهما، فإن أدوات الربط تعمل على ربط هذه الجمل مع بعضها. ولا يتحقق الربط إلا إذا كان هناك علاقة دلالية بين العنصرين. فالتركيب في الكلام يكون وفق علاقات رابطة تربط عناصر المكونات اللغوية بروابط إما لفظية يدركها الفرد لدى ظهورها على السطح، وإما معنوية لا تدرك إلا استنتاجا بناء على العلاقة المنطقية بين هذه المكونات، وتكون الروابط اللفظية أظهر في الكلام. وهي التي ساعمل في هذا البحث على استشراف أثرها في توجيه دلالات شعر الوصف.

الكلمات المفتاحية: أثر، الروابط اللفظية ، الجملة الاسمية، شعر الوصف.

The effect of verbal connections in the nominal sentence and its connotations in the descriptive poetry of Al-Buhturi

Assistant teacher Salah Mohsin Hazim Abdul Kareem

Ministry of Education - Iraq - General Directorate of Education in Nineveh Governorate

Abstract:

Language is a system subject to a network of grammatical, semantic, and contextual relationships. This system is represented by several linguistic structures. Among them is the sentence that the grammatical lesson has covered with study and detail in its issues and problems. Perhaps the most important phenomenon that governs the construction of the sentence is linking, as it is achieved by many means, including: linking with pronouns and linking with articles, or whatever they do, and linking may create cohesion in the text by pulling its elements together. If we say: Muhammad came and then took out a book from his bag, then the conjunction (then) creates a chronological and event sequence in what Muhammad did. The role played by this tool for syntactic connection formed a force in the text that was not there before this tool. Because the text is a succession of sentences based on the connection between



them, the conjunctions work to link these sentences together. The connection is not achieved unless there is a semantic relationship between the two elements.

The structure in speech is according to linking relationships that link the elements of linguistic components with links that are either verbal, which the individual perceives when they appear on the surface, or moral, which is only perceived as a conclusion based on the logical relationship between these components, and the verbal links are more apparent in speech. In this research, I will work to explore its impact in directing the connotations of descriptive poetry.

Keywords: effect, verbal connections, nominal sentence, descriptive poetry

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الصادق الوعد الأمين، وبعد. يعد الربط بين المفردات اللغوية داخل التراكيب النحوية، أساساً من الأسس التي يركز عليها النظام التركيبي النحوي للجملة العربية، لأن عدم الربط يؤدي إلى الغموض واللبس في فهم المعاني وأمن اللبس هو الغاية التي تسعى إلى تحقيقها اللغة إضافة إلى مخالفة المنطق في بناء الجملة العربية حيث لا يتم البناء في الجملة العربية إلا بالروابط لفظية أم معنوية فاللغة العربية تلجأ إلى الربط بوساطة لفظية عند اللبس في فهم الانفصال والارتباط بين معنيين، فلعلنا لا نجاوز حد الحقيقة، أو نفارق حرفها إذا قلنا: إنَّ الشعرَ ديوانٌ العربية، وحصلها الممتنع؛ فقد كان ديوانَ العرب، ومعجم ألفاظها، ونبغ دلالات العربية، وما انفك أن يكون صنعةً فحولها الأوائل، إليه لجأ المتقدمون من قبل في صون العربية، وحفظها من الضياع بعد ظهور اللحن وشيوعه، وإليه يلجأ المتأخرون من بعد لضبط شعرهم ونثرهم، واقتفاء أفانين بلاغته، بغية رسم الصور البلاغية والمجازية وفق ما يقتضيه المقام، أو المقال.

وهذا البحثي إمام من أئمة الشعر في عصره، ولربما في عصر غيره من المتقدمين والمتأخرين، تربّع على عرش الوصف؛ إذ امتلك ناصية المذهب الوصفي -إن صح التعبير- فعمدت إلى شعره، معتكفاً على دراسة روابط الجملة الاسمية اللفظية فيه دراسة نحوية غير مفصومة العرى عن بلاغته النحوية، وصوره الشعرية، وأفانينه اللغوية، مستكشفاً نهجه في استخدام معيار اللغة النحوي، ومدى قدرته على إبراز حسن الوصف، وجمال الصورة من خلال محدد هذه الدراسة (الروابط اللفظية في الجملة الاسمية، وأثرها في توجيه مسارات الدلالة في شعر الوصف عند البحثي).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في كيفية التوجيه النحوي لروابط الجملة الاسمية اللفظية في شعر الوصف عند البحثي؛ لأبراز الجانب الدلالي والجمالي في شعره، وتبين إلى أي مدى كانت لغة البحثي موافقة لقواعد الجملة المعيارية، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بالتساؤلات الآتية:

- 1- ما مفهوم الربط لغة واصطلاحاً؟
- 2- ما أنواع الروابط اللفظية في النحو العربي؟
- 3- أي الروابط اللفظية للجملة الاسمية كثر دورانه في شعر الوصف عند البحثي، وما دلالة ذلك؟
- 4- كيف أدت الروابط اللفظية في الجملة الاسمية إلى توجيه مسار الدلالة؟



5- كيف يؤدي التعالق بين الجمل بالروابط اللفظية إلى استمرارية النص، وتماسكه، وتمكين المتلقي من فهمه؟

6- ما أثر الروابط اللفظية على تقريب فهم المعاني الدلالية؟
أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من مجموعة من النقاط، يمكن إيجازها فيما يلي:

1- أهمية الربط بالكلام يكون مشتتاً ومبعثراً مالم يكن هناك رابط من الروابط، تتألف بدوره الكلمات، فأمن اللبس ووضوح المعنى هما الغاية التي تسعى لغتنا العربية إلى تحقيقها.

2- إن موضوع الربط كان له النصيب الأقل من الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً وتتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تدرس تركيب الجملة الاسمية في ديوان البحري؛ ذلك لأن الجملة من العناصر المهمة التي تكوّن النص. ثمّ إنّها تأتي من محاولة دراسة النحو بطريقه تبعده عن الجمود؛ وذلك بعرض الآراء النحوية، وتطبيقها على نماذج من شعر الوصف، والاستشهاد للقواعد النحوية من غرض الوصف.

3- تهدف إلى التعرف إلى لغة البحري، من خلال دراسة الجمل الاسمية في شعر الوصف عنده دراسة نحوية دلالية، وتحليلها؛ لإبراز جمالياتها.

4- إضافة إلى ذلك كلّ، فإنّ هذا البحث لم يُطرق في دراسة لغوية خاصة على حدّ علم الباحث.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:-

1- دراسة القواعد النحوية دراسةً تبعدها عن الجمود من خلال ربطها بالنصوص الأدبية، ودراستها دراسةً تطبيقيةً؛ لتقريب الفهم والإفهام، وتنطلق من عدّ الجملة النسيج المكون للنص، ولا يمكن الاستغناء عن دراستها؛ لأنّها هي التي تكوّن النص؛ لذا من اللازم معرفة كيفية بناء هذه الجمل، وكيفية ربط عناصرها ببعضها ببعض.

2- تعمل على استشراف الأثر الدلالي والجمالي الذي تحقّقه الجملة الاسمية، وروابطها اللفظية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على حدّ علم، وما أُتيحَ لهُ من إمكانات- على دراسة تتناول روابط الجملة الاسمية اللفظية في شعر الوصف عند البحري دراسةً نحويةً دلاليةً؛ إلّا أنّني قد سلّطت الضوء نحو شعره؛ لأنّ فيه مادةً ثريةً سواءً من الناحية الأدبية، أم اللغوية، وكان من هذه الدراسات على سبيل الأمثلة لا الحصر:

أ. نظام الارتباط والربط في شعر البحري، رسالة دكتوراه: إعداد: أشرف محمد، إشراف: أحمد علي، 2008، (محمد، 2008) الهدف من هذا البحث هو الإجابة عن سؤال محوري، وهو هل اللغة التي انطلق منها البحري تقع ضمن نظام اللغة ذاته، وعمل الباحث فيها أيضاً على تفسير طريقة الارتباط والترابط بطريقة وصفية تحليلية، وكانت هذه الدراسة مختلفة عن دراستي؛ إذ إنّها تبحث في نظام الربط عند البحري، دون إبراز الجانب الدلالي.

ب. البحري، وشعره في الوصف، للباحث عبد الله بن سليمان العقل. جمهورية مصر العربية، جامعة القاهرة، 1974، (العقل، 1974) وهذه الدراسة مختلفة تمام الاختلاف عن دراستي، لأنّها تعمل على حصر الأبيات المخصصة في الوصف، وتعمل على شرحها شرحاً أدبياً.

ج. بناء الجملة الخبرية في شعر البحري (دراسة وصفية توليدية تحليلية). (عثمان، 2006) رسالة دكتوراه، إشراف: زكي حسام الدين، وهذه الدراسة تعمل على دراسة الجملة الخبرية في شعر البحري، من منظور نظرية تشومسكي.



د. إضافة إلى بعض الدراسات البحثية التي تتناول شعر البحري من زوايا مختلفة، كدراسة الإيقاع في شعر البحري، وأثره في تحقيق الدلالة.

المبحث الأول: الربط مفهومه، وأهميته، وأنواعه.

المطلب الأول: مفهوم الربط

أ- الربط لغةً.

جاء في لسان العرب "رَبَطَ: رَبَطَ الشَّيْءَ يَرْبُطُهُ وَيَرْبُطُهُ رَبْطًا، وَالرَّبَّاطُ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَرْبُطُ بِهِ وَجَمْعُهُ رَبَطٌ، وَرَبَطَ الدَّابَّةَ يَرْبُطُهَا وَيَرْبُطُهَا رَبْطًا وَارْتَبَطَ. وَفُلَانٌ يَرْتَبِطُ كَذَا رَأْسًا مِنَ الدَّوَابِّ، وَدَابَّةٌ رَبِيطٌ: مَرْبُوطَةٌ. وَالْمَرْبُوطُ وَالْمَرْبُوطَةُ: مَا رَبَطَهَا بِهِ. وَالْمَرْبُوطُ وَالْمَرْبُوطَةُ: مَوْضِعُ رَبْطِهَا" (ابن منظور، 2003).¹ أما الزمخشري فقد جاء عنده "ربط الدابة: شدّها بالرباط والمربط، وهو الحبل، وقطعت الدابة رباطها ومربطها، وفرس ربيط: مربوط ورباط الخيل: حبسها واقتناؤها" (الزمخشري، أساس البلاغة، 1998).² وفي معجم العين "ربط: ربط يربط ربطاً. والرباط: هو الشيء الذي يربط به، وجمعه: رُبط. والرباط: ملازمة ثغر العدو" (الفراهيدي).³

ومن هنا نرى أن مادة (ربط) في المعاجم اللغوية وما يتفرع عنها يدور معناها حول التقييد والجمع والحبس، وأن هذا المعنى لم يبتعد كثيراً عن دلالاته الأصلية عند انتقاله إلى المعنى الاصطلاحي، وهذا يتناسب مع العناصر التركيبية للجملة الواحدة، أو بين العناصر التركيبية لمجموع الجمل بعضها بعضاً، ونلاحظ أيضاً أن المعاني اللغوية لكلمة ربط، وما يتفرع عنها ترتبط والدلالة الاصطلاحية للمعنى الذي يشير إلى مدلول الربط بين الجمل، أو بين عناصر الجملة؛ لتشكل فيما بينها وحدةً كلاميةً متكاملةً.

ب. الربط اصطلاحاً.

يطلق مصطلح الربط على تلك العلاقة القائمة بين المفردات والتراكيب النحوية ويطلق على الحروف والأدوات مصطلح الربط، لا بد من الإشارة إلى أن القدامى من أمثال الخليل، وسيبويه، والكسائي، لم يشرروا إلى مصطلح الربط كوسيلة لفظية تحقق التماسك النصي، والربط كمصطلح لم يكن بارزاً عندهم. (البهناوي، 1423، صفحة 7)، ولكنهم وقفوا على مضمونه بمصطلحات أخرى؛ إذ في كتبهم إشارات كثيرة للوظيفة التي يؤديها الربط بمصطلحات مختلفة كالإضمار، والعائد، والتعليق.

في حين نبّه علماء العرب المتأخرون على قيمته، وأهميته بوصفه قرينةً لفظيةً، وظاهرةً من ظواهر التركيب، فعلى الرغم من تنبههم عليها إلا أنهم لم يتناولوها من ناحية قواعدها النحوية، ولم يعالجوها معالجةً شاملةً، وإنما نظروا إلى وظيفتها (البهناوي، 1423، صفحة 8)، ولعل أول ظهور لمصطلح الربط كان عند ابن السراج في كتاب الأصول، ففي باب مواقع الحروف الرابطة، يقول: "واعلم: أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إمّا أن يدخل على الاسم وحده مثل: الرجل، أو الفعل وحده، مثل: سوف، أو ليربط اسماً باسم: جاءني زيد وعمرو، أو فعلاً بفعل، أو فعلاً باسم، أو على كلام تام، أو ليربط جملةً بجملة، أو يكون زائداً. أمّا دخوله على الاسم وحده، فنحو لام التعريف إذا قلت: الرجل" (ابن السراج، صفحة 42).

أمّا عند المحدثين، فنرى تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، يقرر أن الربط، هو كل قرينة لفظية، أو معنوية تعمل على وصل أحد المترابطين بالآخر، ويكون الربط بين الموصول والصلة، وبين

¹ مادة ربط

² مادة ربط

³ مادة ربط



المبتدأ والخبر، وبين النعت والمنعوت، وبين القسم والجواب. (حسان، ١٩٩٤، صفحة 213) فالربط وسيلة من الوسائل التي تشد أجزاء الجملة إلى بعضها، فتعمل بدورها على تحقيق التلاحم النصي. وأرى أن الروابط اللفظية هي مجموعة من الأدوات الملحوظة التي توضع بين الجمل؛ لتحديث تشبيهاً بينها، فتؤسس بذلك نسيجاً متكاملًا من الكلام تهدف من خلاله إلى تحقيق الفهم والإفهام، وإزالة اللبس والغموض الذي قد يشعر به المتلقي إذا لم تكن هذه الروابط موجودة. وبهذا يتضح أن الربط ومن خلال دلالته الاصطلاحية يسهم في تحقيق الأمور الآتية:

- تقريب فهم المعاني، وإزالة الغموض في الجمل.
- تحقيق الترابط الدلالي بين ركني الجملة الاسمية.
- تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص، فتجعلها وحدة واحدة.

المطلب الثاني: أثر الروابط في تحقيق الدلالة.

ينبغي الإشارة إلى أن الربط لا تبرر أهميته إلا إذا درس من خلال الجملة، فهي النواة الأساسية التي ينبني منها النص اللغوي، وهي الخلية التي تكون نسيجه، ولا بد من إحكام هذه الجمل، وشدها إلى بعضها بروابط مدركة باللفظ، أو بالمعنى، فأني بناء لغوي يحتاج إلى روابط؛ لشد خيوط النسيج اللغوي إلى بعضها؛ لتتوطد العلاقات بين الجمل مع بعضها، فلا يتشتت القارئ في أثناء قراءة أي منتج لغوي. (مهيوبي، 2009، الصفحات 1-2)، فإذا نظرنا إلى مختلف كتب التراث لوجدنا أنهم أولوها أهمية بارزة، وإن كان مصطلح الربط غير مدرك عندهم، فهذا عبد القاهر الجرجاني يقرر أن الربط أساس، ومرتكز تستند عليه نظرية النظم، فيقول: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس" (الجرجاني، صفحة 55).

فالكلام أصلاً لا يكون مفيداً إلا إذا كان مع بعضه مترابطاً، فالجملة العربية يجب أن تكون عناصرها مترابطة ترابطاً محكماً حتى تؤدي غرضها في تحقيق الفهم والإفهام؛ لذا فضّل بعض القدماء مصطلح التأليف على مصطلح التركيب؛ لأن في مصطلح التأليف ألفة بين عناصر الجملة، وفي الألف تناسب وتناسق (حماسة، 2003، صفحة 87). ولا شك في أن تحقق الترابط النصي في النص يعمل على تحقيق صفة النصية للنص التي تعد أحد معايير النصية الحديثة، وذلك إلى جانب دورها النحوي. كذلك فإن الربط في النص يكون بين أركان الجملة الواحدة، وبين مجموع الجمل التي تشكل النص، فبين ركني الجملة الاسمية تكون هناك علاقات لفظية، أو معنوية تربط بين ركني الجملة الاسمية، وبين الجمل، فتتوطد علاقات، وروابط تمكن من تعليق الجمل مع بعضها، فتأتي الواحدة منها سبباً من صاحبها. (الجرجاني، صفحة 55)، وإلى جانب الدور التشبيكي الذي يقوم به الربط، فإنه يسهم في فهم النص؛ لأن اللغة تسعى إلى إزالة الغموض واللبس، فيصبح بذلك وسيلة تستخدمها اللغة؛ ليكون النص مترابطاً ومتماسكاً يمسك بعضه برقاب بعض، فيصبح جسداً واحداً.

المطلب الثالث: أنواع الروابط اللفظية للجملة الاسمية.

لقد عمل النظام اللغوي على إيجاد روابط للجمل، بعضها يدرك من خلال الفهم، وبعضها يكون ظاهراً على السطح كالروابط اللفظية، وقد ورد من الروابط اللفظية في شعر الوصف عند البحري:

أ- الربط بالضمير.

تستعمل اللغة العربية الضمير رابطاً في مواضع كثيرة من أبنيتها وتراكيبها منها ما يخص بالجملة الفعلية ومنها ما يختص بالجملة الاسمية، والأصل في الجملة أن تكون منفردة، ولكن إن قصد منها أن تكون جزءاً من كلام، فلا بد من رابط يربطها مع ما يكملها من الكلام، وهذا الرابط قد يكون ضميراً، ووظيفته



تكمُن في تسهيل فهم النص، و"لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِي الرِّابِطِ أَنْ يَكُونَ بِالضَّمِيرِ، فَقَدْ كَثُرَ دَوْرَانُهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ رَابِطًا لِلجُمْلَةِ بِمَا قَبْلَهَا، وَرَابِطًا لِلْأَسْمِ بِمَا قَبْلَهُ، وَقَدْ وَقَعَ الرِّبْطُ بِهِ مَذْكُورًا وَمَحْذُوفًا. وَلَكُونِ الرِّبْطُ بِالضَّمِيرِ، هُوَ الْأَصْلُ ذَكَرَ النُّحَاةُ أَنَّ الظَّاهِرَ قَدْ يَحُلُّ فِي الرِّبْطِ مَحَلَّ الضَّمِيرِ". (النشترتي، 1985، صفحة 138)

يرى ابن هشام في مغني اللبيب أَنَّ الأشياءَ التي تحتاجُ إلى رابطٍ يربطُها: الجملةُ المخبرُ بها، والجملةُ الموصوفُ بها، وهذه الجملةُ لا يربطُها إِلَّا الضَّمِيرُ المذْكُورُ، أَوْ المَقْدَرُ، والجملةُ الموصُولُ بها، وهذه الجملةُ لا يربطُها إِلَّا الضَّمِيرُ في الغالبِ، والجملةُ الواقعةُ حالًا ورابطُها، إمَّا الضَّمِيرُ، وإمَّا الواوُ، والجملةُ المفسرةُ، والجملةُ الواقعةُ بدلًا، وجوابُ اسمِ الشرطِ (ابن هشام، 1985، صفحة 656). فالضَّمِيرُ إذن وسيلةٌ من وسائلِ الرِّبْطِ إضافةً إلى وظائفه الأخرى في الخطابِ، والتكلمِ والغيبةِ، ولعلَّ الجملَ التي تحتاجُ إلى رابطٍ يربطُها هي:

أولاً: الضمير في جملة الخبر الاسمية.

تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر عنه، والخبر متمم لمعنى الجملة، وبه تكون الفائدة. ويأتي الخبر على صور مختلفة، فيأتي مفرداً، ويأتي شبه جملة، ويأتي جملة، ولقد اشترط النحويون في النوعين الأخيرين أن يعود منهما رابط يرتبط بالمبتدأ؛ "حتى لا يفهم من جملة الخبر أنَّها مستقلة" (حماسة، 2003، صفحة 106)، فيلزم الجملة الواقعة خبراً عن مبتدأ أن يكون فيها ضمير يعود على هذا المبتدأ؛ لهذا يقول "ناظر الجيش: لَمَّا كَانَتِ الجُمْلَةُ مَفِيدَةً مُسْتَقِلَّةً بِنَفْسِهَا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا، وَبَيْنَ مَا وَقَعَتْ خَبَرًا عَنْهُ ارْتِبَاطٌ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهَا خَبَرٌ عَنْ ذَلِكَ الْمَبْتَدَأِ". (ناظر الجيش، صفحة 974) وهذا الرابط الذي يربط الجملة الواقعة خبراً بما أخبرت عنه ينبغي أن يكون ضميراً، أو ما يجري مجراه، وما يجري مجرى المبتدأ يكون أحد هذه الأشياء الثلاثة: "إمَّا إعادة المبتدأ بلفظه، وإمَّا إشارةً مَشارَ به إلى المبتدأ، وإمَّا عموم في الخبر يدخل تحته المبتدأ" (ناظر الجيش، صفحة 974)، وغاية هذا الضمير أن يربط جملة الخبر بالمبتدأ؛ لنلا يقع أجنبياً عنه، وشرط الضمير في الخبر، أن لا يكون هو نفسه في المعنى (البهناساوي، 1423، صفحة 17). أمَّا إذا كان الخبر هو نفسه في المعنى، فإنَّ جملة الخبر لا تحتاج إلى ضمير يربطها بالمبتدأ (حماسة، 2003، صفحة 109).

فالجمل التي تحتاج إلى ضمير يربطها بالمبتدأ هي الجمل التي لا تكون هي المبتدأ نفسه في المعنى، ويكون هذا الضمير إما مستترا، وإما ظاهراً. (حماسة، 2003، صفحة 109) وقد نظر النحاة إلى أنَّ الضمير هو الأصل في الرِّبْطِ، وليس ذلك يعني أنَّه أصلُ والأمور الأخرى تتفرع عنه، وإمَّا المقصود بذلك أنَّه كثير الدوران عند العرب، وهو الأكثر استخداماً، أمَّا الروابط الأخرى، فتكون في الأصل نائبة عن الضمير، وهي قليلة الاستخدام (حماسة، 2003، صفحة 110).

ثانياً: الضمير في جملة النعت.

النعت هو أحد التوابع الخمسة (النعت، التوكيد، البدل، عطف البيان، عطف النسق) "والتابع هو الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً والذي يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه، أو فيما يتعلق به" (ابن هشام، صفحة 269) وقد يأتي النعت مفرداً، وجملة، وشبه جملة، والنعت الواقع جملة يحتاج إلى ضمير يربطه بمنعوته، سواء أكان ظاهراً، أم مستتراً (البهناساوي، 1423، صفحة 17)، و"الغالب في الضمير العائد من جملة النعت على المنعوت أن يكون مطابقاً له". (جبر، 1983، صفحة 126) وهو أصيل في جملة النعت، والاستغناء عنه فيها قليل. (جبر، 1983، صفحة 128)

ثالثاً: الضمير في جملة الحال الاسمية.



الحال وصف فضلة منصوب يأتي لبيان هيئة (ابن عقيل، 1980، صفحة 243)، وقد يكون مفردا نحو: جاء الولد ماشيا، وهذا هو الأصل فيه، وجملةً نحو: جاء محمد ويحمل بيده كتابا، وقد يكون شبه جملة نحو: رأيت محمدا ومعه كتاب، والحال الجملة، أو شبه الجملة لا بدّ فيهما من رابط كالضمير، أو الواو (البهناوي، 1423، صفحة 18).

ب. الربط بالأحرف.

قد تستخدم بعض حروف العطف لربط الجمل بعضها ببعض والغرض من هذه الحروف ربط بعضها ببعض وتؤدي أحرف الربط معاني مختلفة ودلالات متنوعة؛ إذ يكون بعضها حلقة وصل بين الجمل تعمل على ربطها وإلى جانب هذه الوظيفة، فإنّ بعضها يكون "في معظم الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الاتصال" (البهناوي، 1423، صفحة 23)، ولعلّ أبرز هذه الأحرف بناء على الوارد في شعر الوصف:

أولا: أحرف العطف.

تأتي بعض أحرف العطف؛ لتشكل حلقة وصل بين الجمل؛ لإحداث عملية اتصال دلالية من خلال هذه الروابط اللفظية، ولم أجد من أحرف العطف في شعر الوصف إلّا حرف (الواو) الذي يعد "قرينة لفظية مهمة لتأمين اللبس الذي قد يعتري المتلقي حال الانفصال بينهما" (البهناوي، 1423، صفحة 8). وفيما يتعلق بإفادتها، فقد ذهب جمهور النحويين إلى أنّها تفيد مطلق الجمع (المرادي، 1992، صفحة 158) إلّا إذا وجدت قرينة تبين أنّ ما قبلها يسبق ما بعدها.

ثانيا: الفاء الواقعة في جواب الشرط.

تقوم أدوات الشرط بوظيفتها في الربط بين جملتين تسمى الأولى الشرط والأخرى جملة الجواب وتعد الفاء أداة ربط إذا كانت جوابية، وإضافة إلى دورها في الربط، فإنّها تفيد الجزاء السببي (المرادي، 1992، صفحة 66)، فتدخل فاء الربط على فعل الجزاء إذا "كان الجزاء أمراً، أو نهياً، أو ماضياً صريحاً، أو مبتدأ وخبراً" (الزمخشري، 1993، صفحة 440).

المبحث الثاني: الروابط اللفظية في شعر الوصف عند البحتري مواضعها، وأحكامها:

أولا: الربط بالضمير.

1. عود الضمير في جملة الخبر.

قد يأتي الخبر جملة فعلية، أو اسمية، ولا بدّ لهذه الجملة من رابط يربطها بالمبتدأ حتّى تؤدي وظيفتها في إتمام المعنى، وتحقيق الدلالة:

أ. الضمير الرابط في جملة الخبر الفعلية:

ومن أمثله، قول البحتري في وصف الطبيعة، ووصف أزهارها الجميلة:

[الخفيف]

فَهِيَ تَهْتَزُّ بَيْنَ إِفْرِنْدِهِ الْأَخِ ضَرَّ حُسْنًا وَوَشْيِهِ الْأَرْجَوَانِي

(البحتري، صفحة 2198)

صور البحتري الطبيعة، وهي ترقص طربا لجمالها الذي خلده ألوان الأزهار المختلفة، حتّى صار ظاهرا عليها كأنّه الوشي الأرجواني. فقد تصدرت الجملة الاسمية هذا البيت (فهي تهتز)؛ إذ الضمير المنفصل (هي) عائد على الطبيعة، ولا تكتمل الفائدة إلّا بالخبر، والخبر هنا جاء جملة فعلية (تهتز)؛ للدلالة على الحركة في فعل الطبيعة، ولا بدّ للجملة الفعلية من رابط يربطها بالمبتدأ، وهو هنا الضمير



المستتر (هي)؛ ليربط جملة الخبر بالمبتدأ، وليحقق الاتصال بينهما، ولولا هذا الضمير لما صحت الجملة من الناحية التركيبية، وكان الخبر أجنبياً عن المبتدأ.

ومن أمثله أيضاً، قوله في وصف الإيوان:

[الخفيف]

فَهُوَ يُبِيدِي تَجَازُداً وَعَلَيْهِ كَلَّكَ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي

(البحثري، صفحة 1159)

فالشاعر هنا يصور الإيوان بإنسان تظهر عليه الكآبة نتيجة لما حلَّ به من مآسي الزمان إلا أنه يقف صابراً صامداً رغم هذه المصائب، فجاءت الجملة الاسمية في قوله: (فهو يبدي) مكونة من مبتدأ ضمير منفصل (هو)، وخبره جملة فعلية (يبدي)، ولا بدَّ للجملة الفعلية أن يكون فيها ضمير يعود على المبتدأ، وهو الضمير المستتر الذي يعود على الإيوان من الفعل يبدي؛ أي هو يظهر رغم المصائب التي حلت به.

ب. الضمير الرابط في جملة الخبر الاسمية.

ومن أمثله قول البحثري في وصف قصر الصبيح:

[الخفيف]

إِنَّ خَيْرَ الْقُصُورِ أَصْبَحَ مَوْهُوبًا بَكْرَهُ الْعِدَى لَخَيْرِ الْأَنَامِ

(البحثري، صفحة 2006)

فقد بدأ الشاعر بوصف هذا القصر الذي تمَّ بناؤه، وطاب العيش فيه، ثم أضاف عليه وصفاً معنوياً لعله هو الذي زاده جمالاً؛ إذ إنه أصبح لخير الناس، فقوله: (إنَّ خير القصور أصبح موهوباً)، جملة اسمية مصدرية بأنَّ الناسخة، ووقع خبرها جملة اسمية مشتملة على رابط يربطها باسم إنَّ، واسم الجملة الاسمية الواقعة خبراً جاء ضميراً مستتراً، و(موهوباً) خبره، والضمير المستتر عائد على اسم إنَّ، وهو أداة الربط التي ربطت الخبر الواقع جملة اسمية، ولولا هذا الضمير لما صحت الجملة من الناحية التركيبية، ولو لم يأت فيها ضمير لكانت الجملة، (إنَّ خير القصور أصبح خير القصور موهوباً)، ولكنَّ الضمير -فضلاً عن دوره في تحقيق الترابط بين ركني الجملة الاسمية، فإنَّه عمل على التخلص من التكرار غير المفيد.

مما سبق يتبين لنا أنَّ وجود الضمير ضروري في الجملة الواقعة خبراً، ولولا هذا الضمير لكانت جملة الخبر أجنبية، وكان الكلام مفككاً غير مترابط، لأنَّ عدم وجوده يعدم العلاقة بين الخبر والمبتدأ، وتصبح الجملة أجنبية فلا تتحقق الفائدة المرجوة منها؛ إذ مشروط فيها تحقيق الفائدة الدلالية. (حسن، صفحة 467)

2. عود الضمير في جملة النعت.

قد تأتي جملة النعت اسمية، ولا بدَّ لجملة النعت أن يعود منها ضمير على منوعتها، ومن الأمثلة على ذلك عند البحثري، قوله في وصف هطول المطر:

[البسيط]

سَحًا بِسَحٍّ وَإِسْبَالاً بِمُسْبَلَةٍ دَمَعٌ يَبُوحُ بِشَجْوٍ كُنْتُ أَخْفِيهِ

(البحثري، صفحة 2444)

يتابع البحثري في هذا البيت ما كان سابقاً له من وصف لانهمار المطر الذي يجعل وجه الأرض يبتهج، فتصبح كالوشى الذي لا يدانيه أيُّ وشي، ويبقى هذا المطر منهمراً ما دام الشاعر ينظر إليه، ثم يأتي على



وصف حركة المطر الذي جعله ييكي لاشتياقه، وقد كان يخفي هذا الشجو والاشتياق، فجاءت الجملة الاسمية (كنت أخفيه) وصفا لكلمة (شجو) الواقعة نكرة، والضمير بقوله: (أخفيه) عائد على كلمة شجو؛ لتحقيق الاتصال بينهما.

ومنه أيضا ما قاله في وصف القصر الجعفري:

[الكامل]

مَلِكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ إِقَامَةً فِي خَيْرِ مَبْدَى لِلْأَنَامِ وَمَحْضَرٍ

(البحثري، صفحة 1040)

يتراءى في هذا البيت وصف ذهني يُستمد من الأوصاف السابقة في القصيدة من تشبيهات للقصر الجعفري بعد استتمام بنائه تشير إليها في هذا البيت عبارات: (خير دار، وخير مبدى، وخير محضر)، وفي هذا البيت وقعت الجملة الاسمية مركبة من مبتدأ محذوف وخبر نكرة، والنكرة تحتاج إلى شيء يوضحها، فجاءت الجملة الفعلية الواقعة بعد كلمة ملك في محل رفع صفة، وفيها ضمير يرجع إلى الجملة الاسمية. ومن هذه الجملة الواقعة نعتا تراءى لنا الوصف الذهني الذي أعادنا إلى استحضار مشاهد الوصف المادي للقصر.

ويبرز الربط اللفظي للضمير في الجملة الاسمية الواقعة نعتا؛ في وصف البحثري للأرض التي أقيم عليها القصر الجعفري:

[الكامل]

فِي رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاها لَوْلُو وَتَرَابُهَا مِنْكَ يُشَابُ بِعَنْبَرٍ

(البحثري، صفحة 1040)

فقوله في رأس مشرفة غير واضح المعالم، فلو اكتفى الشاعر بهذا القول لما اتضحت صفاتها، فقوله (حساها لولو) جملة اسمية وقعت صفة للنكرة الواقعة قبلها (مشرفة)، فهي جملة اسمية في محل جر نعت، والضمير المتصل في قوله: (حساها) عائد على مشرفة، وعطف على هذه الجملة بجملة أخرى تشبهها في التركيب وفيها ضمير أيضا يعود على مشرفة. ومثاله أيضا ما قاله في وصف قصر المتوكل (الجعفري):

[الكامل]

فَرَفَعَتْ بُنْيَانًا كَانَ زُهَاءَهُ أَعْلَامُ رَضْوَى أَوْ شَوَاهِقُ صَنْبَرٍ

(البحثري، صفحة 1041)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية في قوله (كان زهاءه أعلام رضوى) صفة لكلمة (بنيان) الواقعة نكرة، وفي الجملة الاسمية ضمير في قوله: (زهاءه) يعود على المنعوت. فالمنعوت في هذه الجملة مذكور؛ لأنَّ النعت ما بعدها جملة؛ إذ يشترط في الجملة الواقعة نعتا أيضا أن يكون منعوتها مذكورا (حسن، صفحة 473).

ويشترط فيه أن يكون نكرة؛ ذلك لأنه لو لم يكن نكرة لما لزمته هذه الجملة؛ لأنَّ جملة النعت تأتي في الأصل للتوضيح (حماسة، 2003، صفحة 179).



لعلّ الملاحظ أيضا من الأمثلة السابقة أنّ جملة النعت في الأمثلة جميعها جاءت خبرية، (حسن، صفحة 473)؛ ذلك لأنّ جملة النعت وضعت؛ لتساند الجملة الخبرية في تحقيق الفائدة؛ لذا فإنّ الجملة الإنشائية لا تصح أن تكون نعتا (النجار، 2001، صفحة 140)، فلا يصح مثل قولنا: ببيان القصر ارفعه. يغلب على الرابط في جملة النعت أن يكون مذكورا، ولكنّه قد يقع مستترا، فيحذف إذا كان في الكلام قرينة تدلّ عليه، وقد طابق الضمير في الأمثلة السابقة ذلك؛ إذ جاء مستترا وظاهرا؛ ولعلّ الملاحظ أنّ الجملة الواقعة نعتا إذا جاءت فعلية، فإنّ ضميرها يكون مستترا، أمّا إذا جاءت اسمية، فإنّ الضمير فيها يكون مذكورا.

3. عود الضمير في جملة الحال.

لا بدّ في جملة الحال أن يربطها رابط بصاحبها، وهذا الرابط إمّا أن يكون الضمير، أو الواو، أو كلاهما معا، وذلك نحو:

أ. الربط بالضمير والواو معا.

تشارك الواو مع الضمير لربط جملة الحال، ومن أمثلة ذلك، قول البحري في وصف الخيل في الحلبة:

[الرجز]

كَأَنَّهُمَا وَالْحَبْلُ فِي صُدُورِهَا أَجَادِلٌ تَنْهَضُ فِي سُيُورِهَا

(البحري، صفحة 1044)

يستمر البحري في وصف الخيول، فيعرض مشهدا في هذا البيت للخيول داخل الحلبة، ويشبهها بالصقور وهي تنهض في عليائها، فجاءت الجمل الاسمية (والحبل في صدورها) جملة حال، ويعرب (الحبل) مبتدأ (في صدورها) شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر، والرابط فيها الضمير (الهاء) في قوله: (في صدورها)، إضافة إلى واو الحال في قوله: (والحبل)، فقد "تقع قبل قسم من الجمل الحالية واو تسمى واو الحال، وجوبا أو جوازا" (السامرائي، 2000، صفحة 296).

ب. الربط بالواو.

يمكن للواو وحدها أن تربط جملة الحال بصاحبها، ومثاله، قول البحري في وصف لقائه الذئب:

[الطويل]

تَسْرِبْلَتُهُ وَالذَّنْبُ وَسَنَانُ هَاجِعٍ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَالَهُ بِالْكَرَى عَهْدُ

(البحري، صفحة 742)

وصف الشاعر في الأبيات السابقة لهذا البيت الليل الذي لقي فيها الذئب، ثمّ تابع في هذا البيت تحديد أوصاف الذئب التي تدلّ على يقظته حال لقائه إيّاه وخوضه معركة معه، فالذئب جهز نفسه، وكأنّه ابن ليل لم يعرف النعاس أبدا. ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية (والذئب وسنان هاجع) مكونة من مبتدأ وخبر، والرابط في هذه الجملة، هو (واو الحال)؛ إذ جاءت لتربط الحال بصاحبها.

ومن أمثلة الربط بالواو وحدها أيضا قول البحري في وصف منازل الفتح بن خاقان للأسد:

[الطويل]

عَدَاةَ لَقِيَتْ أَلَيْثَ وَأَلَيْثَ مُخَدِّرٍ يُحَدِّدُ نَابَا لِلْقَاءِ وَمِخْلَبَا

(البحري، صفحة 199)



يمهد البحرني في هذا البيت لوصف منازل الفتح بن خاقان للأسد، وهو مستتر في عرينه يجهز نفسه للقائه بأنياه ومخالبه، فجاءت الجملة الاسمية، (والليث مخدر) مكونة من مبتدأ وخبر، وواو الحال التي تربط جملة الحال الاسمية بصاحبها، وهو لقاء الليث، فجاءت جملة الحال لتوضيح حال الأسد وقت لقائه.

ج. الربط بالضمير.

قد يأتي الضمير وحده لربط جملة الحال بصاحبها، ومن أمثلة ذلك قول البحرني في وصف فرس:

[الكامل]

هَزَجُ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَعْمَاتِهِ نَبَرَاتٍ مَعْبَدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ

(البحرني، صفحة 1748)

ومعنى هذا البيت أن الشاعر يقدم صورة شعرية جميلة لصوت الخيل، فكأنها تشبه النقرات الثلاث عند أحد أئمة الإيقاعات الموسيقية العربية، فجاءت الجملة الاسمية (كأن في نغماته نبرات) جملة اسمية تبين هيئة الحصان في صوته، والرابط في جملة الحال، هو الضمير المتصل في قوله: (نغماته)، وهو عائد على الحصان.

فقد تأتي الحال الجملة فعلية، أو اسمية، ولكن من الأمثلة السابقة يتضح أن الحال الجملة جاءت في غالبها جمل اسمية، وهذا يرتبط ودلالة الجملة الاسمية الدالة على الثبات؛ ليضفي دلالات ثابتة على الشيء الموصوف، ثم يتبين أن هذه دلالات ملازمة له، فيقوى الموصوف في عين المتلقي.

ولاحظت أيضاً من الأمثلة السابقة أن جمل الحال وقعت جميعها خبرية، وهذا ما تشترطه اللغة؛ إذ لا تبيح أن يأتي الضمير الجملة جملة إنشائية (حسن، صفحة 395)؛ لأن الحال يأتي ليشارك الجملة الخبرية في تحقيق غايتها الإخبارية.

تشبه جملة الحال جملة النعت من حيث التزامها بالشروط المتعلقة بها، وأنها هي ذاتها إلا أنها؛ أي الحال الجملة تارة تشتمل على الضمير كرابط وتارة تشتمل على الضمير والواو معا وتارة على الواو وحدها (جبر، 1983، صفحة 129). فالجملة التي تقع حالا لا بد فيها من رابط يربطها بما قبلها؛ ذلك "لأن الجملة كلام مستقل بنفسه مفيد لمعناه، فإذا وقعت الجملة حالا، فلا بد فيها مما يعلّقها بما قبلها، ويربطها به، لئلا يتوهم أنها مستأنفة" (ابن يعيش، 2001، صفحة 26) وهذا ينطبق على جملة النعت أيضاً.

ثانياً: الربط بالأدوات.

أ. الربط بالواو.

تعمل الواو العاطفة على ربط الكلمات والجمل مع بعضها؛ لإفادة اشتراكهما في الحكم، ومن أمثلة ذلك عند البحرني ما قاله في وصف مشهد أحداث معركة خاضها صاعد بن مخلد لما قتل العلوي عند نهر دجلة:

[الطويل]

غَمَاغُمُ أَصْوَاتٍ وَجَرَسُ تَقَارُعٍ وَمُخْتَارَةُ الْمَرْذُولِ يَدْمِي وَرِيدُهَا

(البحرني، صفحة 534)

فبعد أن تلاقوا عند نهر اليهودي، عرض لنا الشاعر مشهداً من مشاهد المعركة التي خاضها الأبطال، فيبرز فيها صورتهم، وهم يصدرون أصوات البطولة والنصر، وسيوفهم تقارع سيوف الأعداء، ثم عرض مشهداً آخر يشترك مع هذه المشاهد، فالشاعر عطف جملة اسمية (ومختارة المرذول يدمي وريدها) على



الجملة الاسمية في مطلع البيت؛ ليدلّ على أنّ هذا الحدث هو جزء من الأحداث التي تجري في هذه المعركة.
ومن أمثلته أيضا، قوله يصف سيفاً:

[الكامل]

مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ بَطْلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلْ

(البحثري، صفحة 1751)

أجاد البحثري في وصف سيف، فهو قاطع يدرك الأعداء بكل سهول، وإن لم تمسكه يد فارس بطل، وإنّما هي صفة متحققة فيه لذاته، وهو مصقول، وإن لم يتحقق له الصقل، ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية في عجز البيت (ومصقول وإن لم يصقل)؛ أي وهو مصقول، فكلمة مصقول خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، فعطف الجملة الاسمية الثانية على الجملة الأولى (وهو ماضٍ؛ لإبراز الصفة الثانية على السيف في الوقت نفسه.

وقوله في وصف مطر أدركه، فناله منه أذى، فندم على خروجه، وقد كان مجتمعاً عند الحارثي، فطلب منه الحارثي البقاء إلّا أنّه أبى، فكتب إلى الحارثي قصيدة يعبر له فيها عن ندمه:

[الطويل]

لَجَرَّ عَلَيْنَا الْغَيْثُ هُدَابٌ مُزْنَةٌ أَوَّخَرَهَا فِيهِ وَأَوَّلَهَا عِنْدِي

(البحثري، صفحة 564)

شبه الشاعر المزنه بهدّاب يمدّ خيوطه، وشبه المطر بخيوط الهدّاب للدلالة على شدته و غزارته، وللتعبير عن هذه الدلالة جاءت الجملة الاسمية معطوفة، و(وأولها عندي) على جملة: (أواخرها فيه)، وجاء العطف بالواو؛ لاشتراكها معها في تحقيق المشهد الوصفي. فأواخر هذه الخيوط هي في هدّاب المزنه، وأولها عند الشاعر، وهو يعني بذلك امتداد هذه الخيوط دون انقطاع للتعبير عن شدة المطر، و غزارته. وما قاله في وصف قومه وقت خوضهم المعارك:

[الكامل]

فَالنَّقْعُ لَيْلٌ وَالسُّيُوفُ كَوَاكِبٌ تَنْقُضُ فَوْقَ جَمَاجِمِ الْأَقْرَانِ

(البحثري، صفحة 2381)

فإذا اشتدت المعارك عليهم كانوا أهلاً لها، فالغبار كالليل، والسيوف تصبح كالكواكب لامعة، وفي قوله: (والسيوف كواكب). جاءت الواو عاطفة؛ لعدم الاكتفاء بما قبلها، وهي بذلك تتناسب و غرض الوصف؛ إذ يحرص الشاعر لتحقيق غرض الوصف على إبراز المشهد الوصفي بشكل كامل، فتأتي الواو للجمع بين المشاهد جميعها؛ لإبرازه بصورته الكاملة، فعرض الشاعر لمشهد معركة لا يكتمل إلّا بإبرازها من جوانب مختلفة.

لاحظنا إذن من خلال الأمثلة السابقة أنّ الواو لا تفيد الترتيب، فليس شرطاً في واو العطف أن يكون ما قبلها سابقاً لما بعدها، وإنّما هنا تعني أنّ هذه المواقف متحققة في الشيء الموصوف، وقولنا هذا لا يعني أنّها لا تفيد الترتيب مطلقاً، بل قد تأتي في سياقات يكون ما قبلها سابقاً ما بعدها من حيث الزمن (السامرائي، 2000، صفحة 217)، كأن تقول: درس محمد، ونجح في الامتحان؛ لأنّ دراسته تسبق نجاحه من حيث الزمن. أمّا ما جاء في سياق تحقيق المشهد الوصفي، فإنّ الهدف فيها، هو إبراز هذه



المشاهد جميعها تقوية للصورة الوصفية التي يريد الشاعر إبرازها دون أي اعتبار لأيهما يسبق الآخر؛ لأن هذه المشاهد تكون متحققة في الوقت نفسه.

ب. الربط بالفاء الواقعة بعد أداة الشرط.

يحدث أسلوب الشرط ربطاً بين الجمل، فيأتي الربط بين جملتين مستقلتين على سبيل تحقيق علاقة دلالية بين الجملتين، فإذا كان جواب الشرط واقعاً مبتدأً، فلا بدّ من اقتران الفاء كقولنا: إذا جنّنتي فأنت مكرّم. (ابن يعيش، 2001، صفحة 111)

يقول البحراني في وصف خمر قدّمه له ابن رباح أحمد بن إبراهيم فأعياه:

[المتقارب]

إِذَا صُبَّ مُسْوَدُّهُ فِي الزَّجَاجِ فَكَأْسُ النَّدِيمِ بِهِ مَحْبَرُهُ

(البحراني، صفحة 899)

ومعنى هذا البيت أنّ هذه الخمرة التي صُبَّتْ له إذا وضعت في الزجاج، فإنّ الكأس تصير محبرة، وكأنّه وضع فيها حبراً، فعلق على جوانب الكأس، فتصبغت حوافها بهذه الألوان. وقد جاء في هذا البيت أداة شرط (إذا) وجوابها جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر (فكأس النديم به محبرة)، ألا ترى أنّه لا تصير كأس النديم محبرة إلا إذا تمت عملية الصب، "ومن أجل ذلك احتاجوا إلى الفاء في جواب الشرط مع المبتدأ والخبر، لأنّ المبتدأ ممّا يجوز أن يقع أولاً غير مرتبط بما قبله. وذلك نحو قولك: إن جنّنتي فأنت مكرّم" (ابن يعيش، 2001، صفحة 111). فقد اشترط حدوث الإكram بالمجيء، ولولا هذه الفاء لما علم أنّ هذه سبب من تلك.

ومنه أيضاً قوله في وصف فرس:

[الكامل]

وَإِذَا التَّقَى الثَّقَرُ الْقَصِيرُ وَرَاءَهُ فَالطَّوْلُ حَظَّ عَنَانِهِ وَحَزَامِهِ

(البحراني، صفحة 1991)

ومعنى هذا البيت أنّه وصفه بعنق طويل، وبطن منتفخ، وظهر قصير، فأبدع في وصفه بلفظ جميل، ونسج في تركيبه أجمل نسج، فجاءت الفاء؛ لتربط الجملة الاسمية (فالطول حظ عنانه) بالجملة السابقة؛ الفاء مصدرية الجملة الاسمية؛ لأنّ الجملة الاسمية مستقلة، ويمكن أن تأتي وحدها لكنّ الفاء عملت على ربطها بما يسبقها من الكلام، حتى لا تكون منفصلة عن الكلام السابق.

المبحث الثالث: الأثر الدلالي لروابط الجملة الاسمية في توجيه الدلالة في شعر الوصف عند البحراني

إنّ عملية الربط النحوي المتمثلة بالروابط اللفظية تحدث إحكاماً بين عناصر الكلام، فتنسجها نسجاً، وتشدها إلى بعضها، فتجعلها تسير وفق نسق واحد، وكأنّ الجمل تتوالد من بعضها، ولعلّ حسن عملية الربط هي الطريقة الأقوم للوصول إلى إيضاح المعاني والدلالات، وتحقيق الفهم والإفهام؛ لذا سيعمل الباحث في هذا المبحث على استشراف الأثر الدلالي للربط المستخدم، وبيان دوره في توجيه غرض الوصف عند البحراني.

أولاً: الأثر الدلالي للربط بالضمير في شعر الوصف.

1. الضمير في جملة الخبر.

أ. جملة الخبر الفعلية.

ومن أمثله ما قاله البحراني في وصف موكب الخليفة (المتوكل) لمّا خرج إلى صلاة عيد الفطر:



[الكامل]

فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ

(البحثري، صفحة 1071)

يصف البحثري في هذا البيت موكب الخليفة المتوكل؛ إذ وقف فيه على مشاهد متحركة في موكبه كصوت الخيول، وهي تصهل، وصوت الفوارس، وهي تفخر بنسبها بصوت مرتفع، وسيوفهم، ورماحهم تلمعان، فجاء في هذا البيت بأربع جملة اسمية أخبارها جميعها جمل فعلية دالة على الحركة والاستمرارية، وفي كل خبر من هذه الأخبار ضمير مستتر يعود على مبتدأه. فالرابط في الفعل (تصهل) عائد على الخيل، والرابط في (تدعي) عائد على الفوارس، والرابط في (تلمع) عائد على البيض، والرابط في (تزهـر) عائد على الأسنة، ولولا هذه الضمائر لما صحت هذه الجمل من الناحية التركيبية. وهذا هو الدور الذي تؤديه هذه الضمائر من الناحية النحوية.

وإضافة إلى هذا الدور النحوي، فإنها أسهمت في صرف النظر إلى الأشياء الموصوفة، من خلال الإشارة إليها، وتمثلها لحركة الفعل المخبر به عنه، ففي قوله: (الخيـل تصهل)، فإن الرابط، وهو الضمير المستتر يصل الفعل بالمبتدأ، فيصير بينهما علاقة اتصال لغوية، ويتلاحمان بطريقة تجعل المتلقي يستحضر مشهد الخيول، وهي تصهل، فيقوى المشهد الوصفي في ذهنه. وتضافرت مع هذا الأسلوب في الجمل الأربعة واو العطف التي تدل على مطلق الجمع في المشاهد الأربعة التي يريد الشاعر إبرازها. ومن أمثله أيضاً ما قاله في وصف البركة الحساء:

[البسيط]

كَأَمَّا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةً مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

(البحثري، صفحة 2418)

يتابع البحثري وصف المياه التي تجري في البركة الحساء، فيشبهها بسبائك فضة مذابة تسير في قنوات، وجاء بكلمة السبائك؛ لأن سبائك الفضة عند تذويبها تكون صافية وخالية من أية شوائب، ثم توسل لتحقيق المشهد الوصفي بجملة اسمية (الفضة تجري) فكلمة الفضة مبتدأ، وتجري فعل مضارع في محل رفع خبر المبتدأ، والضمير المستتر في الفعل عائد على الفضة، وهو أداة الربط التي تربطه بالمبتدأ، ولولا هذا الضمير لما صحت الجملة من الناحية التركيبية.

وإضافة إلى ذلك، فإن هذا الضمير صرف الذهن إلى استحضار مشهد المياه، وهي تجري جريان فضة سائلة؛ ذلك لأن الضمير ينبه على استحضار المشهد بتفاصيله كافة، فقد نقل لنا الشاعر مشهد حركة المياه في مجاري البركة الحساء بصورة مستمرة. وقوله في وصف الغيث:

[الكامل]

غَيْثٌ أَذَابَ الْبَرْقُ شَحْمَةً مُزْنِهِ فَالْرِيحُ تَنْظِمُ فِيهِ حَبَّ الْجَوْهَرِ

(البحثري، صفحة 950)

ففي هذا البيت يصف الشاعر مظهرا من مظاهر الطبيعة يهدف من وراءه إلى إسقاط هذه الصفة على ممدوحه، أو مقارنته معه، فالمطر دال على العطاء والكرم، وقد تمثل ذلك كله من خلال عرض مشهد من مشاهد الطبيعة، وتصويره تصويراً فنياً بتصوير حبات المطر وكأنها حبات جواهر يحركها الريح،



فينظمها نظاماً، فجاءت كلمة (الريح) مبتدأً، وخبرها جملة فعلية (تنظم)، ويعود من الخبر ضمير مستتر تقديره (هو) على المبتدأ، ولولا هذا الضمير لما فهم الكلام، ولما فهمت العلاقة بين كلمة الريح الواقعة مبتدأً وبين الفعل تنظم الذي يشير إلى ترتيب حبات المطر، وكأنها لؤلؤ منظوم في عقد. ثم أن الضمير العائد من الفعل الدال على الحركة أشار إلى استمرار الريح في عملية النظم، وبهذا جعلنا الشاعر أمام مشهد حقيقي نتخيله بأذهاننا، وكأنه ماثل أمامنا.
وما قاله أيضاً في وصف بركة المتوكل:

[البسيط]

أما رأت كالي الإسلام يكلاًها من أن تُعاب وباني المجد يبينها

(البحري، صفحة 2416)

يخاطب البحري في هذا البيت دجلة، وهي كالغري تنافس البركة في حسناتها وجمالها، هادفاً من ذلك إلى إبراز جمال البركة، ولعل الذي أضفى عليها هذا الجمال أن الذي بناها هو نفسه الذي حمى الدين الإسلامي، ولعلنا نلاحظ بذلك أيضاً كيف يذهب الشاعر إلى إبراز صفاتها الجمالية من خلال التركيز على دور الخليفة في ذلك، فجاء في بداية البيت مخاطباً دجلة ومسانداً إياها؛ أي كيف لها أن تنافسها وفيها لمسات الخليفة الذي حرص أن تكون خالية من أي عيب، ثم جاء بجملة اسمية (وباني المجد يبينها) مكونة من مبتدأ وخبر جملة فعلية، وعاد من الجملة الفعلية ضميران الأول المستتر العائد على الخليفة الذي بناها وبني المجد، والضمير الثاني، وهو الضمير المتصل الذي يعرب مفعولاً به، وكان عائداً على البركة المذكورة في الأبيات السابقة، ولعل في هذين الضميرين تعظيماً للخليفة، وتعظيماً للبركة. وإضافة إلى ذلك فإن الضمير أسهم في ربط المبتدأ بالخبر، فصارت الجملة صالحة من حيث التركيب مما شكل توجيهات للأشياء المشار إليها؛ لتمكين المتلقي من فهم النص، وبهذا نرى أن البحري يقول كيف لدجلة أن تنافس هذه البركة، والذي حمى الإسلام، وبني مجده هو الذي بناها، ثم إنه جاء بالخبر جملة فعلية فعلها مضارع رغم أن عملية البناء متحققة؛ ذلك لأنه يهدف من ذلك إلى جعل الفعل يسهم في الرفع من شأنها من خلال الدلالة على استمرارية حركة الفعل، فاستعماله في هذا المقام كان مجازاً؛ ذلك لأن بناء البركة متحقق والأصل فيه أن يأتي ماضياً لكنه جاء هنا للدلالة على استمرار الحفاظ عليها.

ب. جملة الخبر الاسمية.

ومن أمثله ما قاله البحري في وصف القصر الصبيح:

[الخفيف]

إن خير القصور أصبح موهوباً بجزره العدى لخير الأنام

(البحري، صفحة 2006)

فنحن نرى في هذا البيت كيف استطاع البحري أن يضيف وصفاً جميلاً على القصر الصبيح، من خلال جعله موهوباً لخير الناس، فهذه الدلالة المعنوية للقصر تجعله يحلو بأعين الناس؛ فقد يظهر جمال الشيء الموصوف من خلال عظمة الشخص الذي يملكه، فالشاعر توسل لتحقيق غرض الوصف بجملة اسمية مصدرة بأن واسمها (خير القصور)، وخبرها جملة اسمية (أصبح موهوباً) واسمها ضمير مستتر يعود إلى (خير القصور)، وقد شكّل هذا الضمير أداة ربط بين الخبر الواقع جملة اسمية، وبين اسم إن، ولولا هذا الضمير العائد على اسم إن لما صحت الجملة، وإضافة إلى ذلك، فإن الضمير المحال إلى السابق جاء بديلاً عن إعادة الذكر، كما أنه عمل على الرفع من شأنه مرة أخرى؛ لأن الضمير محذوفاً، أو مذكوراً



يضيف على الشيء العائد إليه نوعاً من الفخامة، وهذا ما يريد الشاعر إبرازه، فقد تضافر الضمير الدال على التفعيم مع كلمة خير؛ ليدل على القيمة العظيمة للقصر.

2. الأثر الدلالي للضمير في جملة النعت.

أشرنا في المبحث السابق إلى أنه إذا وقعت الجملة الخبرية بعد نكرة أعربت نعتاً بشرط أن يربطها ضمير يعود منها إلى المنعوت، ومن أمثلته في شعر الوصف، قوله في وصف لون الفرس:

[الكامل]

أَوْ أَدْهَمٍ صَافِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ تَحْتَ الْكَمِيِّ مُظْهَرٌ بَيْرَنْدَجٍ

(البحثري، صفحة 403)

يدعو الشاعر ممدوحه في هذا البيت إلى ملاقاته العدو بأدهم صافي السواد يظهر، وكأنه تحت فارسه وجه ثوب مصنوع من الجلد الأسود. فنلاحظ أن كلمة (أدهم) جاءت نكرة والأدهم هو الحصان الأسود، وهذه الكلمة وحدها كافية لإفادة السامع بلون الحصان لما تحمله الكلمة من دلالة، ولكن الشاعر يخصص هذا الأدهم، فيجعل له أوصافاً أخرى تخصصه؛ أي فليس أي أدهم يمكن أن يكون صالحاً، وإنما يكون سواده صافياً لا يخلطه أي شيء، فكلمة (صافي) جاءت نعتاً، والجملة الاسمية بعدها (كأنه تحت الكمي مظهر بيرندج) جملة نعت، وهي أيضاً جاءت؛ لإفادة تخصيص الأدهم، وجاء الضمير المتصل في قوله: (كأنه) أداة ربط لإفادة التركيب النحوي، ولصرف ذهن المتلقي إلى الحصان من خلال الضمير الرابط الواقع في الجملة المخصصة؛ لبيان صفة الأدهم.

ومن أمثلته أيضاً ما قاله في وصف الليل الذي لاقى فيه الذئب:

[الطويل]

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي أَخْرِيَاتِهِ حُشَاشَةٌ نَصَلِ ضَمِّ إِفْرَنْدَهُ غِمْدُ

(البحثري، صفحة 742)

ففي هذا البيت نجد أن الشاعر يصف الليل الذي حدثت فيه مغامرته مع الذئب، فكان، ومع بزوغ فجره الجديد كأنه سيف لامع، فقد افتتح الشاعر بيته بواو رب التي تحتل إفادة التكثير، ويعرب ما بعدها مبتدأً مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والجملة الاسمية المنسوخة بعدها واقعة صفة لكلمة (ليل) الواقعة نكرة؛ لتعمل على تخصيصها، ويلزم لكون الجملة الاسمية الواقعة خبراً أن يعود منها ضمير على المنعوت، وهذا أدى إلى ربط جملة النعت بالمنعوت، وجملة النعت أسهمت في تحقيق صفة الليل قبل الوصول إلى الخبر الواقع في الجملة بعده، ولولا وجود الضمير الواقع في كلمة أخريات له ألبس علينا الفهم؛ إذ شكّل الضمير حلقة وصل ربطت الكلام، فعملت على تخصيص الوقت الذي يريد الشاعر إبرازه من هذا الليل.

وما قاله في وصف قصور الفتح بن خاقان:

[الطويل]

رَبَاعٌ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ لَمْ تَزَلْ غِنَاءً لِعَدِيمٍ أَوْ فِكَاءً لِمَوْثِقِ

(البحثري، صفحة 1510)

فلا يكفي الشاعر هنا أن يقول: هي رباع من الفتح بن خاقان، إذ لا تتحقق الفائدة، فقد "يتم النعت الفائدة الأساسية بالاشتراك مع الخبر. مع أن الأصل في الخبر أن يتم هذه الفائدة وحده، ولكنّه في بعض الأحيان لا يتمها إلا بمساعدة لفظ آخر كالنعت" (حسن، صفحة 444)، فالشاعر لا يريد إخبارنا أن هذه هي رباع



الفتح بن خاقان، إنما أراد الشاعر أن يحقق لها وصفا معنويا، فجاءت جملة (لم تزل غنا) واقعة صفة، والضمير الذي يربطها بالمنعوت، هو الضمير المستتر (اسم لم تزل)، وهو الذي عمل على ربط جملة النعت بالمنعوت. ولولا هذا الضمير لأدّى ذلك إلى التكرار اللفظي الذي يصرف الذهن عن الوصف. ومن ذلك أيضا ما قاله في التشبيه المقلوب عن كرم الفتح بن خاقان:

[الطويل]

يُخْلُ بِهَا خِرْقٌ كَانَ عَطَاءَهُ تَلَاخُقُ سَلِيلَ الدِيَمَةِ الْمُتَخَرِّقِ

(البحثري، صفحة 1510)

يتلاقى غرضا الوصف والمدح، فيكتسب المكان صفات إيجابية من ساكنيه، فلعلّ الذي زاد جمال رباع الفتح ابن خاقان أن فيها رجلا عظيما كريما سخيا معطاء، يكاد عطاؤه يسبق المطر الغزير غير المنقطع، وهذا المشهد الجمالي للجملة الاسمية (كأنّ عطاءه تلاحق) الواقعة صفة عن النكرة، ورابطه الهاء ينبه على عظمة الفتح ابن خاقان وكرمه، فيكتسب المكان تلك الصفات الجمالية التي تتراءى إلى الأذهان، فتخلو صورتها من خلال الضمير المتصل المتعلق بكلمة (خرق).

ومنه أيضا ما قاله في وصف أسطول سفن المعركة التي خاضها أحمد بن دينار:

[الطويل]

يَسُوقُونَ أُسْطُولًا كَانَ سَفِينُهُ سَحَابٌ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُمْطِرٍ

(البحثري، صفحة 980)

يتابع الشاعر وصف المعركة التي خاضها أحمد بن دينار، فيصف في هذا البيت الأسطول الذي قاده الجنود، فكانت سفنه على نوعين النوع الأول يشبه السحاب القوي الذي يحمل المطر، والنوع الثاني يشبه سحاب الصيف الذي لا يحمل مطرا، فالأول دالّ على قوة تلك السفن، أمّا الثاني، فدلّ على سرعة السفن وخفتها في الحركة، فالأولى تخوض معركة شرسة في المكان الذي حطّت فيه، والثانية تلاحق الأعداء بسرعة فائقة لخفتها، فنلاحظ أنّه لولا الجملة الاسمية التي جاءت موضحة كلمة (أسطولا) لما اتضحت صفة هذا الأسطول، فجاءت الجملة لتوضحها، وعاد من هذه الجملة ضمير متصل في قوله: (سفينه)، وهو الذي بين أنّ هذه الجملة توضح كلمة أسطول، ثم إنّه عمل على ربط الكلام وجعله متماسكا الأمر الذي أدى إلى تحقيق الفهم في المعنى الدلالي، وإضافة إلى ذلك فإن هذا الضمير رفع من شأن الأسطول؛ لأنّ من وظائف الضمير الرفع من شأن الشيء.

ويصف البحثري موقف الفتح بن خاقان في حماية الخلافة:

[الخفيف]

وَسُيُوفًا إِيْمَاضُهَا أَوْجَالٌ لِلْأَعْدَادِ وَوَقَعُهَا أَجَالٌ

(البحثري، صفحة 1318)

يصف الشاعر في هذا البيت موقف الفتح بن خاقان في حماية الخلافة، فهو يشهر عزمات وسيوفا، فكانت كلمة (سيوف) واقعة مفعولا به، وهي نكرة لزمها توضيح، فجاءت جملة (إيماضها أوجال) جملة اسمية توضيحية لكلمة سيوف وعاد منها ضمير (الهاء في قوله) (إيماضها)، ولولا هذا الضمير لما اتضح المعنى الدلالي الناتج من علاقة الربط بين الجملة الاسمية التي جاءت لتبين صفة هذه السيوف. وإن كانت هذه



السيوف توحى بشيء معنوي يتمثل بالقوة لحماية هذه الخلافة، إلا أنه يتراءى إلى أذهاننا سيوف حقيقية تلمع في على رؤوس الأعداء فتوقعهم بين قتيل وخائف.

3. الأثر الدلالي لربط جملة الحال.

أ. الأثر الدلالي لربط جملة الحال بالضمير، والواو معاً.

ومن أمثلته قول البحري في وصف الرقة البيضاء، وما جرى بينها وبين المطر من وفاء للدين:

[الكامل]

مَنْحَتُهُ وَهِيَ شَجِيَّةٌ بِكَائِهَا وَوَفَى بِضَحِكِ المَوْثِقِ الْجَذْلَانِ

(البحري، صفحة 2379)

تعطي السماء الأرض منحةً لما تمطر عليها، فتأتي الأرض في موعدها الذي تتزين به، فترد لها هذه المنحة رداً جميلاً، فالشاعر بهذا التعبير استطاع أن يجسد لنا علاقة جميلة بينهما، فالسماء حين تمطر، تظهر، وكأنها تكي، وهذا البكاء يجعل الأرض تبتهج بجمالها عندما تتحرك فيها الغدران، وتتفجر عيونها، وتنبت النباتات الجميلة، فهذه المظاهر الجميلة التي تتحلى بها الأرض كأنها ترد على هذا البكاء بضحك إنسانٍ مقيد.

فجاءت الجملة الاسمية (وهي شجية بكائها) تبين حال السماء التي منحت الأرض مطراً جميلاً بعد أن كانت حزينة على مشهدها الذي يسبق فصل الربيع. فالرابطان في جملة الحال لزمان؛ إذ بدون واو الحال لا تستقيم الجملة، فلا يصح قولنا: منحته هي شجية، وقد يتوهم أنها جملة مستقلة؛ ذلك لأنها جملة اسمية يمكنها أن تتوسط الكلام دون أن يكون لها علاقة مع ما يسبقها من كلام، ولكنها جاءت هنا لتظهر العلاقة بين الحال وصاحبه.

ومن الأمثلة على مجيء رابط الحال الضمير والواو معاً، قوله في وصف الخيل لماً مدح أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي:

[الكامل]

بَطْلٌ يَخُوضُ الخَيْلَ وَهِيَ شَوَائِلٌ خَلْفَ الأَسِنَّةِ وَهُوَ غَيْرُ مُدَجِّجٍ

(البحري، صفحة 402)

يلزم الشاعر في بعض الأحيان للوصول إلى مدوحه أن يصف شيئاً متعلقاً به، فوضح من سياق هذه القصيدة أن غرضها المدح، وفي هذا البيت يحاول الشاعر إبراز بطولة الطوسي في خوض معاركه، فعرض مشهداً من مشاهد المعارك التي يخوضها من خلال إظهار قدرته على سياسة الخيل، ومواجهتها، وهي في قمة هياجها خلف الرماح دون أن يكون معه سلاح.

فبين لنا الشاعر حاله وحال الخيول التي يواجهها، فحال الخيول ظهر بقوله: (وهي شوائل خلف الأسنة)، والرابطان في هذه الجملة هما: (الضمير والواو) العائدان على صاحب الحال (الخيول)، وبين حاله هو أيضاً وقت خوض المعركة، بقوله: (وهو غير مدجج)، والرابطان في هذه الجملة أيضاً هما (الضمير والواو) العائدان على صاحب الحال (بطل)، فهذه الروابط عملت على إظهار العلاقة بين الحال وصاحبه، فجملة الحال في هذا البيت غاية مهمة لتحقيق غرض الوصف؛ إذ جُمِلَ الحال هي التي جعلته يكون خارقاً؛ لأنه ليس سهلاً على أي إنسان أن يواجه خيولاً هائجة خلف تلك الرماح دون أن يكون معه سلاح. وقوله أيضاً في وصف دمشق:



[السريع]

وَكَيْفَ لَا تُؤْثِرُهُمَا بِالْهَوَىٰ وَصَافِيهَا مِثْلُ شِتَاءِ الْعِرَاقِ

(البحثري، صفحة 1515)

ففي هذا البيت نرى البحثري يفتح البيت باستفهام استنكاري، فيتساءل كيف لك أن لا تقابل دمشق بالاشتياق، لأن الصيف فيها يشبه شتاء العراق، فنلاحظ أن الشاعر بهذا يركز على إبراز مناخ دمشق بأجمل صورة له؛ إذ المكان الذي يتصف صيفه بالبرودة يكون صالحاً للتصنيف والاستجمام. وقد جاءت الجملة الاسمية الواقعة حالاً؛ لتعلل ما ذهب إليه الشاعر في بداية البيت؛ إذ يتشوق الشاعر إليها، ثم جاء بجملة الحال؛ ليوضح سبب تشوقه له، وجملة الحال هي (وصيفها مثل شتاء العراق). ولعل الملاحظ في هذه الجملة أنه عاد منها ضمير ربطها بسياق الحديث السابق إضافة إلى واو الحال، وهذان الرابطان هما اللذان جعلتا الكلام السابق يرتبط بالكلام اللاحق، وهما الأداتان اللتان عملتا على ربط هذه الجملة الموضحة.

ب. الأثر الدلالي لربط جملة الحال بالضمير.

ومن ذلك قول البحثري يصف لون الفرس:

[الكامل]

لَيْسَ الْقَتَاوُ مَزْعَفَرًا وَمُعْصَفَرًا يَدْمَى فَرَاخَ كَأَنَّهُ فِي خَيْعَلٍ

(البحثري، صفحة 1747)

يشير البحثري في هذا البيت إلى لون الحصان، فهو شديد الحمرة المائلة إلى صفرة الزعفران، وصفرة العصفور، وكأنه بذلك يلبس قميصاً بلا كمين، وعبر عن ذلك بجملة حال (كأنه في خيعل)، والرباط في جملة الحال، هو الضمير (الهاء) الذي يعود على صاحب الحال، وهو الحصان، فجاءت جملة الحال؛ لتبين صورة الحصان، وكأنه يلبس قميصاً بلا كمين، ولعل في الضمير الذي يربط الحال بصاحبه تنبيهاً إلى الصورة الجميلة التي يريد الشاعر أن يبرزها للحصان، ثم لوحظ أيضاً أن الضمير وحده يكفي ليشكل أداة ربط بين الحال وصاحبه؛ إذ تأتي الواو حتى لا يتوهم أنها جملة مستقلة، ولكن هنا لا يمكن التوهم أن الجملة مستقلة؛ لأنها جملة تشبيهية أدتها أداة التشبيه (كأن)؛ إذاً واضح هنا أن المشبه به هو الحصان.

ج. الأثر الدلالي للربط بواو الحال.

وقال يصف الرقة البيضاء وما يحيط بها من مناظر جميلة من رياض ومياه وأبنية:

[الطويل]

كَأَنَّ الْقَبَابَ الْبَيْضَ وَالشَّمْسُ طَلْقَةً تَضَاحِكُهَا أَنْصَافُ بَيْضٍ مُفْلَقٍ

(البحثري، صفحة 1510)

يصف البحثري في هذا البيت القباب البيض التي تزين أسطح البيوت الموجودة في الرقة البيضاء، فيشبهها بأنصاف بيض مفلق، وقد توسل إلى تحقيق هذا المشهد بجملة اسمية مصدرة بكأن التشبيهية، وتوسط بينها، وبين خبرها بجملة حالية (والشمس طلقة).

فجملة الحال جاءت؛ لتبين سبب تشبه القباب بأنصاف البيض المفلق؛ إذ انعكاس الشمس على تلك القباب، وهي تضاحكها جعلها تشبه أنصاف بيض مفلق، وواضح من ذلك أن صورة تلك القباب المائلة إلى الصفرة جاء بفعل انعكاس أشعة الشمس عليها، كذلك فإن جملة الحال تضاحكها وربطها الهاء التي تعود



إلى (الشمس)، جاءت؛ لتضفي على الشمس نوعاً من الأنسنة، فكأن الشاعر بذلك يذهب إلى أنسنة الشمس، وهي تضاحك تلك القباب.
ومن أمثلته أيضاً ما قاله في وصف الذئب، ووصف لقائه:

[الطويل]

فَأَوْجَرَتْهُ خَرْقَاءٌ تَحْسِبُ رِيَشَهَا عَلَى كَوَكَبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوِّدٌ

(البحثري، صفحة 744)

فهذا بيت يصف فيه الشاعر صراعاً بينه وبين ذئب جائع وجه ضربة سهم قوية خارقة، ولشدة قوة هذا السهم تحسب أن ريشه ينقض على كوكب في ليل مظلم، فجاء بجملة الحال (والليل مسود)؛ ليشير إلى وقت الانقضاء.

فالشاعر يشير في هذا البيت إلى وقت المعركة، وهو وقت الليل؛ ليؤكد أنه ابن ليل لا يخشى تلك الوحوش، ويشير إلى يقظة الذئب في أوقات الليل واستعدادها للمواجهة. ومما يشير له أيضاً أن سهمه انقض على هذا الذئب في وقت سواد الليل، وهو محقق العيون كانقضاضه على كوكب في وقت الظلام، فكأنه بذلك شبه يقظة الذئب، وتحديق عيونه في وقت الليل بكوكب يبرز في الليل. إضافة إلى ذلك فإنّ واو الحال جاءت؛ لأنّ سياق الكلام هو سياق وصف يهدف إلى إبراز الهيئة، وليس الإخبار، فلو سقطت من الكلام لانتبس على المتلقي معنى هذه الجملة، ولما استقام الكلام أصلاً.

ثانياً: الأثر الدلالي للربط بالأدوات في شعر الوصف:

أ. الأثر الدلالي للربط بحروف العطف.

الواو، وأثرها الدلالي.

لم يرد من حروف العطف في شعر الوصف عند البحثري إلا الواو، ومن أمثلة ذلك ودلالاته، قول البحثري، في وصف منازل الفتح بن خاقان للأسد:

[الطويل]

حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفُ لَا عَزْمُكَ إِنْتَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدُّهُ نَبَا

(البحثري، صفحة 201)

يصور الشاعر في هذا البيت شجاعة الفتح بن خاقان في لقاء الأسد، ثم منازلته، فيلزم لتحقيق غرض الوصف أن يظهر الشاعر المشهد بتفاصيله كافة لتقويته، فجاء في هذا البيت بواو العطف في موضعين، و(لا يدك ارتدت)، و(لا حده نبا)، وهاتان جملتان اسميتان منفيتان ومعطوفتان على قوله: (لا عزمك انتى) لاشتراكهما في حكم النفي الذي يهدف إلى إبراز قوته وشجاعته، وإبراز متانة سيفه.

لذا بين الشاعر مظاهر مختلفة يمكنها أن تؤكد مقدرته في المواجهة؛ لتبرز في النهاية صورة متكاملة تجسد شجاعته، وتمكنه من الأسد. فالواو في هذا المشهد لا تعني أن موقفاً سبق موقفاً آخر، إنّما يأتي كل واحد من هذه المواقف في الوقت نفسه؛ لأنّ الواو قد تدل على الترتيب، وقد تأتي لإفادة الحدث، يقول سيبويه: "وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شيء" (سيبويه، 1988، صفحة 438) إلا إذا كان هناك قرينة تدل على تقدم أحدهما، وفي هذا البيت لا توجد قرينة تدل على ذلك؛ إنّما جاءت هذه المواقف جميعها؛ لتشكّل اتحاداً فيما بينها تظهر من خلالها قوته وتمكنه وشجاعته، ومتانة سيفه.

ومثاله أيضاً قول البحثري يصف فرسا:



[الكامل]

تُتَوَهُمُ الْجَوَازُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالْبَدْرُ غُرَّةً وَجْهَهُ الْمُتَهَيَّلُ

(البحتري، صفحة 1747)

لقد أبدع البحتري في وصف حصان؛ إذ يرى أن من ينظر إليه يتوهم أن الجوزاء في أرساغه، وأن البدر مائل في وجهه لشدة جماله، ولعل الملاحظ أنه جاء بالواو العاطفة؛ لإبراز الصفتين الجميلتين في هذا الحصان، ولتحقيق غرض الوصف يقول قدامة: "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاهها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته" (ابن جعفر، 1302، صفحة 41)، فخلاصة ما يهدف إليه البحتري في هذا البيت هو إبراز جمال ذلك الحصان، فجاء بمعانٍ مختلفة وجمعها جمعا بواو العطف. وقال يصف ما قام به أحمد بن عبد العزيز بن الشلمغان في عديد سجستان:

[الخفيف]

فِرْقَةٌ لِلْسُيُوفِ يَنْفُذُ فِيهَا الِ حُكْمُ قَصْدًا وَفِرْقَةٌ لِلْقِيُودِ

(البحتري، صفحة 809)

يُقَسِّمُ الشاعرُ عديدَ سجستان وما فعله أحمد بن عبد العزيز بن الشلمغان بهم، إذ جعلهم فرقتين: فرقة منهم قتلت أثناء خوض المعركة، والفرقة الثانية وقعت في الأسر، فجاءت الواو العاطفة؛ لتعطف الجملة (فرقة للقيود) على (فرقة للسيوف)؛ لأنهما اشتركتا في المصير نفسه في المعركة، فالفرقة الأولى نفذ فيها حكم السيف قصداً، والثانية تعرضت للأسر قصداً أيضاً. فقد عملت الواو العاطفة على جمع المشهدين اللذين يوضحان مصير عديد سجستان، وعبرت أيضاً عن تمكن ابن الشلمغان في المعركة. وقال يصف الغيث:

[الرجز]

وَرَنَّةٌ مِثْلُ زَيْبِرِ الْأَسَدِ وَلَمْعٌ بَرَقَ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ

(البحتري، صفحة 567)

ففي هذا البيت يصف الشاعر سحابة كانت قد صدقت بما وعدت، وعبر الشاعر عن ذلك بتشبيه الفعلين الحقيقيين اللذين نشهدهما من الغيمة وقت نزول المطر، فصوت الرعد يشبه بقوته زئير الأسد، والبرق فيها يشبه لمعان سيوف الهند وقت المقارعة، فجاء في هذا البيت بجملتين اسميتين معطوفتين على ما قبلهما، وفائدة العطف فيهما هو إبراز مشهد المطر؛ لنشهد بذلك عملية كاملة للمطر من نسيم عليل له، وصوت رعد يشبه صوت الأسد، وبرق يشبه لمعان السيوف، وكأننا بذلك نشهد عملية حقيقية لنزول المطر؛ إذ "أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع" (القيرواني، 1981، صفحة 294).

ب. الأثر الدلالي للربط بالفاء الواقعة في جواب الشرط.

تأتي فاء الشرط لبيان السبب (السامرائي، 2000، صفحة 106)، وخصت بذلك؛ لأنها تتضمن معنى السببية والجزاء (ابن الوقاد، صفحة 404). ولا تكون هذه من مهمات الفاء فقط، وإنما تأتي لإيضاح المعنى، وتعيين الجزاء، وقد يؤدي حذفها إلى عدم اكتمال المعنى (السامرائي، 2000، صفحة 106) ومن أمثلتها في شعر الوصف، قول البحتري في وصف سيف:



[الكامل]

وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أَصِيبَ فَمَالُهُ مِنْ مَقْتَلٍ

(البحثري، صفحة 1752)

يبين الشاعر في هذا البيت قوة ضربة سيف، فإذا أصاب، فكلُّ شيء بفعل هذا الضربة هالك، أمّا إذا أصيب، فإنّه لا يهلك، فالفاء الواقعة في جواب الشرط تبين السبب، "فجيء بها في الشرط للدلالة" (السامرائي، 2000، صفحة 106)؛ على أنّها تفيد الجزاء، وتربطه بالسبب، ولو حذفت من الكلام لالتبس، وأشكل على المتلقي فهم المعنى، ولم يظهر المقصود الحقيقي هنا أنّ إصابته هي التي تجعل كل شيء مقتولا، فقد استطاع الشاعر من خلال هذه الجملة الاسمية المصدرة بالفاء الواقعة في جواب الشرط أن يجعل الكلام مترابطا، وأن يصدّر مشهدا جميلا لصورة السيف، إصابته لهدفه تعني كل شيء، أمّا إصابته هو فلا تعني له شيئا، وبهذا يتضح مشهد قوته في الهجوم، وفي الدفاع. وقال يصف دمشق لما قدم إليها المتوكل:

[البسيط]

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مَحَاسِنَهَا وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطْرِيهَا بِمَا وَعَدَا

(البحثري، صفحة 710)

وصف البحثري في هذا البيت دمشق ساعة قدوم المتوكل إليها؛ إذ كان قدومه سببا في أن عمّت فضائله دمشق كلّها، فتزينت أرضها، وابتهجت بهذا القدوم الجميل، فلا ترى فيها إلّا الخضرة والورود والأزهار، فكأنّها عروس تجهز نفسها لعريسها في ليلة زفافها، فجاءت الجملة الاسمية مصدرة بحرف (أما) الذي يفيد التفصيل والتوكيد، ويعرب الاسم الواقع بعدها، وهو (دمشق) مبتدأ مرفوعا، والجملة الفعلية في محل رفع خبر. وجاء حرف الفاء في جملة الخبر؛ ليكون أداة ربط بين المبتدأ وخبره إضافة إلى الضمير المستتر الواقع في جملة الخبر، والذي يربطها بالمبتدأ، في قوله (أبدت)، ثمّ إنّ حرف الفاء ربط فعل الإظهار بالسبب الذي جعلها تظهر محاسنها، وهو هنا متعلق بقدوم المتوكل. وقوله أيضا في وصف الرقة البيضاء:

[الكامل]

فَإِذَا الْعُيُونُ تَأَمَّنَتْ أَشْخَاصُهَا فَكَأَنَّهُنَّ إِلَى الْعُيُونِ رَوَانٍ

(البحثري، صفحة 2378)

يرى البحثري أنّ عيون الماء الواقعة في الرقة البيضاء حال امتلائها، فإنّها تصبح شبيهة بعيون شخص ينظر إلى عيون كل من يرمقه بعينه، أو ينظر إليها، فامتلاء تلك العيون وجريان قنواتها المتصلة بها هما الدافع إلى الاعتقاد بأنّها عيون محدقة بعيون الناظر إليها، فجزاء امتلائها بفعل مياه الأمطار، هو الداعي إلى هذا الظن، فجاءت الفاء الواقعة في جواب الشرط؛ لتربطه بالسبب، فلو أسقطت من الكلام لأشكل على المتلقي الفهم؛ لأنّ الكلام الواقع بعدها يصبح كلاما مستقلا، ولا يربطها معه أيّة علاقة.

الخاتمة:

أولا: النتائج:

بعد دراسة هذا الموضوع خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها ما يلي:



- 1- تعد نظام الربط في اللغة العربية مهما إذ لا تكون دراسة اللغة مجدية من دونه سواء أكان الربط معنويا أم لفظيا وتعمل الروابط اللفظية على تحقيق الفهم والإفهام في النص، فوجودها ضروري؛ إذ لو أُسْقِطَتْ من الكلام، لأصبح منفصل العرى مفككا.
- 2- تأتي الواو العاطفة في شعر الوصف؛ لإبراز الصورة الموصوفة في أبهى صورة لها من خلال توظيف المشاهد جميعها في غرض الوصف.
- 3— تسهم أداة الربط في جملة الحال في استمرار الجمل، وفي بيان هيئة صاحب الحال.
- 4— أن شعر البحري يمثل الاتجاه المحافظ على تقاليد الشعر العربي بأسلوبه الرصين، وألفاظه الجزلة القوية.
- 5— تنقسم مواضع الربط بالضمير في اللغة العربية إلى قسمين، الأول الربط بالضمير أو ما يجري مجراه، والثاني الربط بالأدوات.

التوصيات

- وبناء على النتائج التي خلصت إليها الدراسة فإننا نوصي بما يلي:
- 1- يوصي الباحث بضرورة دراسة الروابط اللفظية في الأغراض الشعرية الأخرى من ديوان البحري دراسة نحوية دلالية؛ لإظهار الجانب الدلالي فيها.
 - 2- ترحو الدراسة أن يُدرس النحو دراسة دلالية من خلال تطبيقه على كتب التراث.

المراجع:

- البحري (بلا تاريخ). الديوان. تحقيق: حسن الصيرفي، ط3، مصر: دار المعارف.
- البهنساوي، حسام (1423هـ). أنظمة الربط في العربية: دراسة في التراكييب السطحية بين النحاة والنظرية التوليديّة التحليلية. ط1، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- جبر، محمد عبد الله (1983). الضمائر في اللغة العربية. ط1، دار المعارف.
- الجرجاني، عبد القاهر (بلا تاريخ). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر، ط3، القاهرة: مطبعة المدني.
- ابن جعفر، قدامة (1302). نقد الشعر. ط1، قسنطينة: مطبعة الجوائب.
- حسان، تمام (1994). اللغة العربية معناها ومبناها. المغرب: دار الثقافة.
- حسن، عباس (بلا تاريخ). النحو الوافي. ط15، دار المعارف.
- حماسة، محمد (2003). بناء الجملة العربية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزمخشري، أبو القاسم (1993). المفصل في صناعة الإعراب. تحقيق: علي بو ملحم، ط1، بيروت: مكتبة الهلال.
- الزمخشري، أبو القاسم (1998). أساس البلاغة، تحرير محمد السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السامرائي، فاضل (2000). معاني النحو. ط1، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن السراج، أبو بكر (بلا تاريخ). الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين الفتلي، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- سبويه (1988). الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن عقيل، عبد الله ابن عبد الرحمن (1980). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين، ط20، القاهرة: دار التراث.
- القيرواني، ابن رشيق (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد محيي الدين، ط5، دار الجيل.



- المرادي، بدر الدين (1992). *الجنى الداني في حروف المعاني*. تحقيق محمد فاضل فخر الدين قباوة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- مهيوبي، الشريف عمر (2009). *روابط الجملة عند النحويين القدماء*. مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، دبي، 38.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف (بلا تاريخ). *شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»*. ط1.
- النجار، محمد عبد العزيز (2001). *ضياء السالك إلى أوضح المسالك*. ط1، مؤسسة الرسالة.
- النشترتي، حمزة (1985). *الرابط وأثره في التراكيب العربية*. مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 17.
- ابن هشام، جمال الدين (1985). *مغني اللبيب عن كتب الأعراب*. تحقيق: مازن المبارك ومحمد حمد الله، ط6، دمشق: دار الفكر.
- ابن هشام، جمال الدين (بلا تاريخ). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر التوزي.
- ابن الوقاد، خالد بن عبد الله (بلا تاريخ). *شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو*. ط1.
- ابن يعيش (2001). *شرح المفصل للزمخشري*. تحقيق: إميل يعقوب، ط1، لبنان: دار الكتب العملية.
- يول، براون (1997). *تحليل الخطاب*. ترجمة: محمد لطفي، ومنير التريكي، ط1، جامعة الملك سعود.